مجلة العلوم والبحوث الإسلامية
SUST Journal of Islamic science and Research
Available at:http://scientific-journal.sustech.edu/

التماسك النصي بين لسانيات النص والممارسات النصية في الدراسات العربية

مصطفى علي البشير علي – مبارك حسين نجم الدين

المستخلص:

هذه الدراسة بعنوان: (التماسك النصي بين لسانيات النص والممارسات النصية في الدراسات العربية)، وهي تهدف إلى التعرف على الإسهامات النصية في الدراسات العربية وعرض بعض الممارسات النصية العربية التي تناولت مفهوم التماسك النصي،وتكمن مشكلة الدراسة في السؤال الآتي: هل تطرقت الدراسات العربية قديما لمفهوم التماسك النصي؟وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي، فقسم الدراسة إلى مبحثين، فتناول في المبحث الأول: المصطلحات والمفاهيم، ووضح فيه المفاهيم المتعلقة بالتماسك النحوي من حيث اللغة والاصطلاح مع التعرض إلى آراء بعض اللسانيين حولها. وتناول في المبحث الثاني: بعض الكتابات والممارسات النصية العربية عند البلاغيين والمفسرين وعلماء اللغة وغيرهم، والتي تؤكد وجود علاقه بينها وبين لسانيات النص.وقد خلصت الدراسة إلى نتائج وتوصيات، فمن نتائجها: أن للعرب إسهامات مباشرة وغير مباشرة في الدراسات النصية،وإن أصول التماسك النصي لم تكن حديثةً، لكن الحديث هو محاولة توظيفها بشكل عملي. ومن توصيات الدراسة: وضع قواعد لتحليل النصوص تتناسب مع طبيعة النص العربي. واستلهام بعض القوانين النصية من مصادرنا التراثية مع الاستفادة من معطيات علم النص الغربي بما لا يلغي خصوصية النص العربي.

ABSTRACT

The study is entitled “Textual Cohesion Between Textlinguistics and Text Books in Arabic Language” . The study aims to identify textual contributions to Arabic language studies and review some Arabic text books dealing with textual cohesion. The statement of the study lies and raises the following question: Have previous studies investigated textual cohesion” The researcher has adopted descriptive method in the study which is divided into two themes: The first part concentrates on terms and concepts related to textual cohesion from linguistic or terminological prospective putting in consideration point of viewpoint of some linguists.

The second theme deals with some woks and textual practices in Arabic according rhetoric specialists and interpreters etc who emphasizes the link between these practices and text linguistics.The study has concluded that a number of results, most notably, the Arab have direct and indirect contributions in text linguistics. The origin of textual cohesion is not new, the new thing is the works about text lingusitics . The study has recommended that rules should made to suit the nature of Arabic text and that textual rules derived from Arab heritage should be inspired with the use of Western text linguistic without contradicting the specialty of Arabic text.

الكلمات المفتاحية:

الحبك – العلاقات – السبك

1- كلية الدراسات العليا- جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا

2- قسم اللغة العربية- كلية اللغات - جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا

المقدمة:

الحمد لله رب العالين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار بنهجه إلى يوم الدين وبعد:

فيُعدّ التماسك النصي من أشهر خصائص النّصّ، إذ لا يقوم النّص إلا به، فقد أجمع علماء اللسانيات النّصيّة بوصف التماسك النصي أساساً في بناء النّص؛وهومن أهم الظواهر التي تتجاوز إطار الجملة المفردة، التي اهتم بها علماء اللسانيات وهو يقوم على التصور الذي يجمع عناصر نحوية تقليدية مع عناصر مأخوذة من علوم متداخلة مع النحو.

كما يعد جوهر العلاقات النصية لأنه بمثابة العلاقة الكبرى التي تضم سائر العلاقات الأخرى، فهو من أهم خصائص النص إذ يُعنى به التلاحم بين أجزاء النص الواحد، بحيث توجد علاقة بين كل مكون من مكونات النص وبقية أجزائه، فيصبح نسيجا واحدا، تتحقق فيه علاقات القصد والخلفية المعرفية بين المبدع والمتلقي وتظهر أهمية التماسك بآراء علماء النحاة والنقاد والبلاغيين والمفسرين الذين اعتنوا بهذه النظرية واهتموا بها في مجالات متعددة، فنجد أهمية التماسك عند النحاة باهتمامهم من خلال تماسك الجمل النحوية، لأن التماسك مشترك بين نحو الجملة ونحو النص، فلذا اهتم بهذه النظرية النحاة في مراعات تماسك الجمل النحوية تحت نظام الربط، والارتباط، أو الترابط في أجزاء الجملة وتراكيبها، ثم ترابط الجمل فيما بينها.[1]

ونجد أن الدرس اللغوي القديم قد اهتم بدراسة النصوص اللغوية، وربما أوفاها أصحابها حقها في ضوء ما أتيح لهم من إمكانات لغوية، غير أن ذلك لا يغني عن دراستها في ضوء ما يتاح لنا من إمكانات لغوية حديثة؛ ومن ثم عكف فريق من علماء اللغة المحدثين على دراسة هذه النصوص من وجهتها اللغوية صوتاً وبنيةً وتركيباً ودلالةً، فنالت نصيباً موفوراً من البحث والدرس.

وتتناول هذه الدراسة مسألة مهمة ومحددة وهي مقاربة في(التماسك النصي بين لسانيات النص والممارسات النصية في الدراسات العربية)، وتقوم دراستها على أنّ للعرب إسهامات مباشرة وغير مباشرة في الدراسات النصية، وأن التراث اللغوي العربي بما فيه من نحوٍ وعلم تفسيرٍ وعلم بلاغةٍ ونقدٍ وغيره يؤكد العلاقة بينه وبين لسانيات النص.

أهمية الدراسة: تكمن أهمية الدراسة في الآتي:

1- أنه تناول الممارسات النصية العربية التي تعرضت لمفهوم التماسك النصي.

2- وأنه نبّه إلى أنّ مفهوم علم النص متأصل في علوم العربية قديما.

3- فضلاً عن أنه يخدم الأبحاث اللغوية النصية بصورةٍ عامةٍ.

منهج الدراسة: اتَّبع الباحثُ في هذه الدراسة المنهج الوصفي.

مشكلة الدراسة: تكمن مشكلة الدراسة في السؤال التالي:

ـــــــ هل تطرقت الدراسات العربية قديما لمفهوم التماسك النصي؟

أهداف الدراسة: تتمثل أهداف هذه الدراسة في:

1- التعرف على الإسهامات النصية في الدراسات العربية.

2- الكشف عن إسهامات البلاغة العربية وغيرها علوم العربية في علم لسانيات النص.

3- عرض الممارسات النصية العربية التي تناولت مفهوم التماسك النصي.

4- تأكيد العلاقة بين الدراسات العربية النصية ولسانيات النص.

([1]) د. مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ص1.

المبحث الأول: المصطلحات

مفهوم النص لغةً واصطلاحا:

النص لغةً: تأتي مادة (نص) لمعان متعددة أهمها الشهرة والوضوح، والتسلسل، والسيادة، والاستقامة والاستواء، وهو معنى الاكتمال، يقول الزمخشري: (الماشطة تنصّ العروس فتقعدها على المنصّة، وهي تنتص عليها، أي: ترفعها. وانتص السنام: ارتفع وانتصب. ونصصت الرّجل إذا أحفيته في المسألة ورفعته إلى حدّ ما عنده من العلم حتى استخرجته. وبلغ الشيء نصّه أي منتهاه.)[2]

جاء في لسان العرب: نصص: النص رفعك الشيء ... وكل ما أظهر فقد نص ... ووضع في المنصة أي على غاية الفضيحة والشهرة والظهور ....ونص المتاع نصا: جعل بعضه على بعض ...وأصل النص أقصى الشيء وغايته ... والنص: التوقيف والنص التعيين على شيء ما ونص كل شيء منتهاه.[3]

مما سبق يتضح أن النص له مجموعة من المعاني هي: الظهور والرفع والشهرة والفضيحة وأقصى الشيء وغايته ومنتهاه والتوقيف والتعيين، وهذه الدلالات تقترب من الدلالة الاصطلاحية.

واصطلاحا:

رغم أن الدراسات اللسانية النصية – نظرية وتطبيقية – أصبحت اليوم كثيرة كثرة ظاهرة، إلا أن الباحث حينما يحاول تحديد مفهوم مصطلح النص فإنه يصطدم بكم هائل من التعريفات التي لا تكاد تقترب من بعضها أحيانا.

وفي هذا يقول الدكتور سعيد حسن بحيري: (ويجب أن يوضع في الاعتبار أن مسألة وجود تعريف جامع مانع للنص مسألة غير منطقية من جهة التصور اللغوي).[4]

ومرد ذلك في نظر الكاتب إلى اختلاف الانتماءات بين العلماء الذين تصدوا لتحديد النص وتعريفه، فهم ينتمون إلى مدارس مختلفة، وهذا لا يمنع في نظره من محاولة إيجاد تعريف يجمع تلك الملامح التي تفرقت في التعريفات المتعددة، فيقول: (ومع ذلك تظل محاولة الوصول إلى تعريف يضم أكبر عدد من الملامح الفارقة للنص محاولة طموحة).[5]

ولتعدد هذه التعريفات وكثرتها فمن غير الممكن الوقوف عليها كلها، كما أنه ليس من اهتمام بحثنا الإطالة في هذا الجانب النظري، لذلك سنقتصر على بعض هذه التعريفات، ومنها تعريف (هاليداي ورقية حسن) اللذان عرّفا النص في كتابهما (الانسجام في الإنجليزية) بقولهما: (إن كلمة نص [Text] تستخدم في علم اللغويات لتشير إلى أي فقرة مكتوبة أو منطوقة، مهما كان طولها شريطة أن تكون وحدة متكاملة).[6]

أما (جولياكريستيفا)، فبما ترجمه صلاح فضل، فقد عرفت النص بأنه (جهاز غير لغوي يُعيد توزيع نظام اللغة، وذلك بكشف العلاقة بين الكلمات التواصلية، مشيرا إلى بيانات مباشرة تربطها أنماط مختلفة من الأقوال السابقة عليها والمتزامنة معها)[7].

وجاء في كتاب (المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب) تعريف النص بأنه (وحدة

([2]) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد، (1998م)، أساس البلاغة، تحقيق باسل عيون السود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، مادة (نصص).

([3]) ابن منظور محمد بن مكرم الأفريقي المصري، (1955)، لسان العرب، ط1، دار صادر، بيروت، مادة (نصص).

([4]) سعيد حسن بحيري، (2004م)، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، ط1، مؤسسة المختار، مصر، ص 99.

([5]) المرجع نفسه، ص:99.

([6]) محمد الأخضر الصبيحي، (2008م)، مدخل إلى علم النص ومجال تطبيقه، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت، ص21.

([7]) صلاح فضل، (2002م) مناهج النقد المعاصر، إفريقيا الشرق، لبنان، ص127.

كبرى شاملة تتكون من أجزاء مختلفة تقع على مستوى أفقي من الناحية النحوية ، وعلى مستوى عمودي من الناحية الدلالية).[8] أما القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان فإنه يعرف النص بوصفه (سلسلة لسانية محكية أو مكتوبة وتشكل وحدة تواصلية)[9]

وهذا التعريف يكاد يكون شاملا إذ يجمع بين الشكل والمضمون والمقصد، فالنص بكونه سلسلة يكون مترابطا متلاحما، وليس أجزاء مفرقة، وكون النص سلسلة لسانية فهو أصوات تتشكل منها ملفوظات ذوات دلالات ومضامين، وتتجمع في جمل لتشكل نصا ذا دلالة كبرى؛ وكون هذه السلسلة اللسانية محكية أو مكتوبة يجعل النص غير مقصور على المكتوب بل يشمل المحكي الشفاهي أيضا ويسمى كل ذلك نصا؛ وكون هذه السلسلة تشكل وحدة تواصلية معناه أن النص وحدة ذات مقصديةتواصلية، أي لابد من وجود مرسل ومتلق ورسالة بينهما، والتركيز على الجانب التواصلي للنصوص مهم جدا لأن هذه النصوص منجزة لغرض التأثير والإقناع، ولا يوجد نص أُنجز فقط لغرض إنجازه وإلا كان عبثا لا فائدة منه.

التماسك:

التماسك في اللغة مقابلا للتفكك، وهو بهذا يعني الترابط التام، والشدة والصلابة، فقد ورد في الأساس: "أمسك الحبل وغيره، وأمسك بالشيء ومسك وتمسك واستمسك وامتسك.و﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ﴾[10] وأمسكت عليه ماله: حبسته، وأمسك عن الأمر: كفّ عنه. وأمسكت واستمسكت وتماسكت أن أقع عن الدابة وغيرها. وغشيني أمرٌ مقلق فتماسكت. وفلان يتفكّك ولا يتماسك، وما تماسك أن قال ذلك: وما تمالك، وهذا حائط لا يتماسك ولا يتمالك. وحفر في مسكة من الأرض: في صلابة."[11]

وفي تاج العروس: (وفي صِفَتِه صلّى اللّهُ عليهِ وسلّمَ بادِنٌ مُتَماسِكٌ أَرادَ أَنّه مَعَ بدانَتِه مُتَماسِكُ اللَّحْم ليس مُسترخِيَه ولا مُنْفَضِجَه، أي أَنَّه مُعْتَدِلُ الخَلْق كأَن أَعْضاءهُ يمْسِكُ بعضُها بعضًا.)[12]

وعند ابن منظور: (المَسِيك من الأَساقي التي تحبس الماء فلا يَنْضَحُ وأرض مَسِيكة لا تُنَشِّفُ الماءَ لصلابتها وأَرض مَساك أيضًا.)[13]

وفي المعجم الوجيز(م س ك): مَسَكَ بالشيء مَسْكًا: أَخَذَ به وتعلَّق واعتصم. ويُقال: تماسَكَ البناءُ: قَوِيَ واشتدَّ. والتماسُكُ: ترابطُ أجزاءِ الشيء حسيًّا أو معنويًّا ، ومنه: التماسُكُ الاجتماعيّ ، وهو ترابطُ أجزاء المجتمع الواحد.[14]

ونحو هذا سائر المعاجم، فلفظ التماسك فيها يتوجه إلى الدلالة على الصلابة والمتانة، وترابط الأجزاء بعضها ببعض. ولم ترد في المعجمات اللغوية إشارةٌ إلى ارتباط هذا الجذر بالنصّ اللغوي سواءً كان منطوقًا أم مكتوبًا.

وجاء هذا المصطلح في الدراسات اللغوية العربية القديمة أو الدراسات الأدبية النقدية بمصطلحات تختلف عن المصطلح المستخدم حالياً، فقد استُعملت مصطلحات متعددة تدلّ على التماسك، كمصطلح (السبك) و(الانسجام) و(الاتساق) و(النظم) و(الضمّ)

([8]) نعمان بوقرة، (2009)، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، دراسة معجمية، ط1، عالم الكتب الحديث وجدارا للكتاب العالمي، إربد، الأردن، ص141.

([9]) ديكرو أوزوالد وجان ماري سشايفر، (2007)، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، تر: منذر عياشي، ط3، المركز الثقافي العربي، المغرب، ص533.

([10]) سورة الأحزاب، الآية 37.

([11]) أساس البلاغة، مادة (مسك).

([12]) مرتضى الزبيدي، أبو الفيض محمد بن محمد، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية مادة (مسك).

([13]) لسان العرب، مادة (مسك).

([14]) مجمع اللغة العربية، (2009) المعجم الوجيز، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم المصرية، مادة (مسك).

وغيرها، بيد أنّ دوران تلك المصطلحات كان محصورًا في كتب البلاغة والنقد.

وفي الحقيقة أنّ الثقافة العربية لم تكن بمنأى عن مفهوم التماسك، لكن المصطلحات المستخدمة فيها والدالّة على التماسك تحتاج إلى بعض التحرير، إذ لم تكن مستقرّة استقرار المصطلحات المعروفة. من أجل ذلك احتيج إلى مصطلح يكون جامعًا ودالاً على الإفادة من الدراسات اللسانية الحديثة ، خاصة في ميدان علم اللغة النصي وتحليل الخطاب، فكان ذلك المصطلح هو مصطلح (التماسك)، لاسيما أنّ مجاز الاستعمال في هذا الجذر يسمح لنا بالقياس عليه.

فمن الصعب أن نحدّد مفهوماً عاماً للتماسك؛ وذلك لتداخله مع مجموعة من المصطلحات التي قد تعبِّر عنه من قريب أو بعيد، وتتضح الإشكاليَّة الحقيقيَّة في تفريق العلماء بين مصطلحات تدل على التماسك الشكلي (كالاتِّساق والسبك) ومصطلحات تدل على التماسك الدلالي (كالانسجام والحبك)، وهناك من يرى أنَّ إطلاق تسمية التماسك تجمع بين هذين النوعين؛ أي (التماسك الشكلي) و(التماسك المضموني).[15]

ولذلك فإن تناول موضوع التماسك النصي يقتضي التدقيق في مصطلحين متقاربين بل متداخلين بشكل كبير، هما: الاتِّساق (cohesion)، والانسجام (coherence).

أ- مفهوم الاتِّساق لغةً واصطلاحاً:

لغةً: جاء في معجم لسان العرب في مادة (و س ق) ما نصّه: (وقد وَسَقَ اللَّيْلُ واتَّسَقَ؛ وكل ما انضمَّ فقد اتَّسَقَ. والطريق يَأْتَسِقُ ويَتَّسِقُ؛ أي ينضمُّ ... واتِّسَاقُ القمر: امتلاؤه واجتماعه واستواؤه ليلة ثلاث عشرة وأربع عشرة، وقال الفراء: إلى ست عشرة فيهن امتلاؤه واتِّساقه؛ وقال أبو عبيدة: وما وَسَقَ أيوما جمع من الجبال والبحار والأشجار كأنَّه جمعها بأن طلع عليها كلها، فإذا جلل الليلُ الجبال والأرض فاجتمعت له فقد وسقها)[16].

وإذا ما انتقلنا إلى المعجم الوسيط فقد ورد في المادة نفسها ((وَسَّقَ): الحَبَّ جعله وَسْقًا. اتَّسَقَ الشَّيْءُ: اجتمع وانضمَّ وانتظم. والقمرُ: استوى امتلأ. (اسْتَوْسَقَ) الشَّيْءُ: اجتمع وانضمَّ)[17].

تدور المعاني اللُّغوية المستخلصة من مادة (و س ق) في فلك الاجتماع والضم والانتظام والاستواء.

واصطلاحاً: لا يبتعد المفهوم الاصطلاحي للاتِّساق كثيرا عن معناه اللُّغوي، ومن أجل التعرُّف عليه سوف نحاول أن نتطرق إلى مفهومه عند بعض الباحثين.

إن مفهوم مصطلح (cohesion) عند هاليداي ورقية حسن متضمن علاقات المعنى العام لكل طبقات النص، والتي تميِّز النصِّي من اللانصِّي، ويكوِّن علاقة متبادلة من المعاني الحقيقية المستقلة للنص مع الآخر، فالتماسك (cohesion) إذن لا يركِّز على ماذا يعني النص بقدر ما يركِّز على كيفيّة تركيب النص باعتباره صرحا دلالياً[18].

وهذا يعني أن مصطلح (cohesion) يشير حسب الباحثين إلى كل علاقات الترابط التي تسهم في تماسك وتلاحم أجزاء النص حتى يصبح كلّا موحدا على المستوى الدلالي.

بينما يجعل الدكتور صبحي إبراهيم الفقي مصطلح (cohesion) مصطلحا جامعا دالا على التماسك الشكلي والتماسك الدلالي، (فالأول يهتم بعلاقات التماسك الشكلية، بما يحقق التواصل الشكلي للنص،

([15]) بشرى حمدي البستاني ودوسن عبد الغني المختار، (2011م)، في مفهوم النص ومعايير نصية القرآن الكريم، دراسة نظرية، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية ، جامعة الموصل، مج 11، ع 1، جويلية، ص 184.

([16]) لسان العرب، مادة (وسق).

([17]) مجمع اللغة العربية، (2004م)، المعجم الوسيط ، ط4، مكتبة الشروق الدولية، ص 1032.

([18]) صبحي إبراهيم الفقي، (2000)، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، ط1، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ج1، ص95.

والثاني يهتم بعلاقات التماسك الدلالية بين أجزاء النص من ناحية، وبين النص وما يحيط به من سياقات من ناحية أخرى)[19].

وذهب تمام حسان في ترجمته لكتاب "النص والخطاب والإجراء" إلى استخدام مصطلح "السبك" مقابلا لمصطلح (cohesion)، وهو يترتب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحية (surface) على صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق ... بحيث يتحقق لها الترابط الرصفي(connectivitysequential) وبحيث يمكن استعادة هذا الترابط. ووسائل التضامتشتمل على هيئة نحوية للمركبات (phrases) والتراكيب (clauses) والجمل ... وعلى أمور مثل التكرار والألفاظ الكنائية والأدوات (pro-forms) والإحالة المشتركة (co-reference) والحذف والروابط (junctions).[20]

من الواضح أن دي بوجراند يرى أن الاتّساق يتجلى في الروابط الشكلية التي تسهم في تلاحم وترابط النص على المستوى النحوي.

ويوافقه سعد مصلوح في هذا البسط؛ حيث يرى أن مصطلح (cohesion) الذي ترجمه إلى (السبك) يختص بالوسائل التي تتحقق بها خاصية الاستمرارية في ظاهر النص (text surface). ونعني بظاهر النص الأحداث اللغوية التي ننطق بها أو نسمعها في تعاقبها الزمني، والتي نخطها أو نراها بما هي كم متصل على صفحة الورق.[21]

ونخلص إلى أن الاتساق يعدّ ركيزة أساسية في لسانيات النص، ونؤيّد الرأي الذي يرى أن الاتساق يهتم بالأدوات النحوية التي تسهم في تماسك النص على المستوى الشكلي

ب- مفهوم الانسجام لغة واصطلاحا:

لغةً: جاء في معجم لسان العرب في مادة (س ج م) ما نصه: (سَجَمَتِ العَيْنُ الدَّمْعَ والسَّحَابَةُ المَاءَ، تَسْجُمُه سَجْماً وسُجُوماً وسَجَمَاناً، وهُوَ قَطَرَانُ الدَّمْعِ وسَيَلَانُهُ قَلِيْلاً كَانَ أو كَثِيراً، وكَذَلِكَ السَّاجِمُ مِن المَطَرِ؛ والعَرَبُ تَقُولُ: دَمْعٌ سَاجِمٌ ... وانْسَجَمَ المَاءُ والدَّمْعُ، فَهُوَ مُنْسَجِمٌ، إذا انْسَجَمَ أي انْصَبَّ. وَسَجَّمَتِ السَّحَابَةُ مَطَرَهَا تَسْجِيماً وتَسْجَاماً إذا صَبَّتْهُ ... وَسَجَمَ العَيْنُ والدَّمْعُ والمَاءُ يَسْجُمُ سُجُومَاً وَسِجَاماً إذا سَالَ وانْسَجَمَ).[22]

وجاء في المعجم الوسيط ((أَسْجَمَتِ) السَّحَابَةُ: دَامَ مَطَرُهَا. والعَيْنُ–الدَّمْعَ: سَجَمَتْهُ. ويُقَالُ: أَسْجَمَتِ السَّحَابَةُ المَاءَ. انْسَجَمَ: انْصَبَّ).[23]

تدور المعاني المستخلصة من مادة (سجم) في محور القطران والانسياب والسيلان.

واصطلاحا: يقابل مصطلح الانسجام في المعجم الإنجليزي مصطلح (coherence) ويستعمل للإشارة إلى التماسك الحاصل على المستوى الدلالي للنص. وقد ترجمه الدكتور تمام حسان بالالتحام وهو (يتطلب من الإجراءات ما تتنشط به عناصر المعرفة لإيجاد الترابط المفهومي، واسترجاعه وتشتمل وسائل الالتحام على العناصر المنطقية كالسببية والعموم والخصوص، ومعلومات عن تنظيم الأحداث والأعمال والموضوعات والمواقف، والسعي فيما يتصل بالتجربة الإنسانية، ويدعم الالتحام بتفاعل المعلومات التي يعرضها النص مع المعرفة السابقة بالعالم).[24]

([19]) المرجع نفسه، ج1، ص96.

([20]) روبرت دي بوجراند، (1998)، النص والخطاب والإجراء،: تر: تمام حسان، ط1، عالم الكتب، القاهرة، ص103.

([21]) سعد مصلوح، (1991)، نحو إجرومية للنص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية ، مجلة فصول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مج 10، العدد(1،2) ، جويلية ، ص 154.

([22]) لسان العرب، مادة (س ج م) .

([23]) المعجم الوسيط، ص418.

([24]) روبرت دي بوجراند، النص والخطاب، والإجراء، ص103.

وذهب سعد مصلوح إلى استخدام مصطلح (الحبك) في مقابل (coherence) ويرى بأنّه يعبّر عن التماسك الدلالي للنص، وبما أنّ معيار السبك متعلّق بالاستمرارية المتحققة في ظاهر النص، فإن معيار الحبك (يختص بالاستمرارية الدلالية التي تتجلى في منظومة المفاهيم والعلاقات الرابطة بين هذه المفاهيم وكلا هذين الأمرين هو حاصل العمليات الإدراكية المصاحبة للنص إنتاجا وإبداعا، أو تلقّيا واستيعابا، وبها يتم حبك المفاهيم، من خلال قيام العلاقات على نحو يستدعي فيه بعضها بعضا، ويتعلق بواسطتها بعضه على بعض).[25]

إن الانسجام يعد بؤرة رئيسة في النص، وللمتلفظ المشارك وظيفة مهمة في بنائه، والحكم الذي يقضي بانسجام النص من عدم انسجامه قد يتغيّر تبعا لتغيّر الأفراد ووفقا لمعرفتهم بالسياق والحجة التي يخوّلونها للمتلفظ.[26]

المبحث الثاني: الممارسات النصية في الدراسات العربية

اهتمّ العرب بالقرآن، فبرز منهم علماء كرّسوا جهودهم لخدمة هذا النص المقدس، وحاولوا بيان وجوه إعجازه، وما تزال مؤلفاتهم شاهدة على ما قدموه في سبيل ذلك، ومن بين الوجوه الإعجازية التماسك الوثيق الذي يربط بين آيات وسور القرآن التي نزلت منجمةً على مدار ثلاث وعشرين سنة.

ورصدت بعض الدراسات الإعجازية بعض العلاقات التماسكيّة بين سور وآيات القرآن، فقد وجدنا بعض المؤلفات تقدم علاقات تماسكيّة للنص ترقى إلى ما قدمته اللسانيات النصية المعاصرة، مثل كتاب (البرهان في علوم القرآن) للزركشي، وكتاب (الإتقان في علوم القرآن) للسيوطي، وعليه يمكننا القول بأنّ الدراسات اللسانية النصية ما تزال في بدايتها، وان علم النص يمكنه أن يقدم الكثير للنقد الأسلوبي الذي آن له أن يتجاوز في تحليله الجملة إلى الفضاء النصي الشامل، ومن جهة أخرى يمكن استلهام بعض القواعد النصية من مصادرنا التراثية مثل أصول الفقه، والبلاغة، والتفسير...

هنا نقف على إثبات هذا المصطلح واستعماله في الدراسات اللغوية العربية القديمة أو الدراسات الأدبية النقدية، فقد استُعمِلت مصطلحات متعددة تدلّ على وظيفة (التماسك) في النصوص العربية، ومن أهمها، مصطلح "الترابط " و"النظم" و"التلاؤم" و"التلاحم" و"التلازم " و"التناسب" و"الاتساق" وغيرها من المصطلحات المختلفة، بيد أنّ دوران تلك المصطلحات كان محصورًا في كتب اللغة، والتفسير والنقد، وشروح الحديث، وشروح كلام العرب من شعر ونثر،وكذلك البلاغة، يقول الدكتور أحمد محمد عبد الراضي: (إن البلاغيين أشد اتصالا بالتماسك النصي في الدراسات البلاغية)[27]

وهناك بعض الممارسات النصية في التراث العربي تجاوزت تركيب الجملة إلى علم النص ككل، منها:

عبد القاهر الجرجاني:(في نظرية النظم)

طور عبد القاهر الجرجاني إنجازات البلاغيين السابقين على مدى قرنين إلى نظرية متكاملة للنظم تقوم على تأكيد شبكة للعلاقات بين العلامات اللغوية أفقيا ورأسيا.هذه النظرية تضاهي بحق ما وصل إليه علم اللغة الحديث في الغرب بل يمكن القول إن نظرية النظم تعد جذراً أو أساساً لنظرية (التماسك النصي)، ولكن من أين استقى الجرجاني مادة هذه النظرية؟ إن أقدم المصادر التي عثر عليها عبد القاهر، هي كتب الجاحظ، وابن المقفع، والواسطي، والخطابي، وغيرهم كثيرون من الذين استقى الجرجاني من مادته العلمية،

([25]) سعد مصلوح، نحو أجرومية للنص الشعري، ص 154.

([26]) دومينيك مانغونو، (2001م)، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون،ص21.

([27]) دكتور أحمد محمد عبد الراضي (2008م)، نحو النص بين الإصالة والحداثة، ط1، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، ص 149.

وبنى نظرية النظم في العربية. لكن الفرق الدقيق في (النظم) عند عبد القاهر وغيره، هو كل من سبق الجرجاني يقصد بالنظم بلاغة اللفظ والمعنى، فاللفظ الفصيح والمعنى البليغ من أهم أركان النظم عندهم، لكن الجرجاني، يحدد للنظم درجات غير درجات البلاغة، وإن النظم دقيق الصنع لايرجع في ميزان البلاغة عن النظم الساذج إذا حسن لفظه، واتسق معناه، وأصاب موضعه. [28] وبدأالجرجاني يحدد المبادئ الأساسية للنظم فحدد للنظم معياراً صوتياً بقوله هو: تواليها في النطق، وليس نظمها بمقتضى عن معنى[29] فالنظم الصوتي لبنة أساسية من لبنات النظم عنده. وفصّل الكلام في المعيار الصرفي، وعرّفه بقوله: هو ترتيب الألفاظ في النطق على حسب ترتيب المعاني في النفس، فهو ترتيب مقتضى عن معنى: يجري أولاً في المعاني، ثم ترتب الألفاظ في النطق على وفقها، وحسن ترتيب الكلمات في النظم بأنه تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض، ويجعل أوجه التعليق ثلاثة: تعلق اسم باسم،وتعلق اسم بفعل، وتعلق حرف بهما، وأن ترى أنه لابدّ منه من ترتب الألفاظ وتواليها على النظم الخاص.[30]

وقد عرّف الجرجاني الجمل المنظومة بقوله: وينظر في الجمل التي تسرد فيعرف موضع الفصل فيما يأتي من موضع الوصل، ثم يعرف فيما حقه الوصل، ومما هو أصل في هذا الباب أنك قد ترى الجملة وحالها مع التي قبلها حال ما يعطف ويقرن إلى ما قبله، ثم تراها قد وجب فيها ترك العطف، لأمرٍ عُرض فيها صارت به أجنبية مما قبلها، ومثال ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ * اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[31]، لما فيها من الجمل، فحالها مع التي قبلها حال الصفة مع الموصوف، والتأكيد مع المؤكد، فلا يكون فيها العطف[32] البتة، فيكون في الجمل ما تتصل من ذات نفسها بالتي قبلها وتستغنى برابط.

كما تحدث عن المقام الذي يوضع الكلام وحال المنظوم؛ لأن النظم عنده يُعد فيه حال المنظوم بعضه مع بعض، وليس هو النظم الذي معناه ضمّ الشيء إلى الشيء كيف جاء واتفق، ولذلك كان عندهم نظيرا للنسيج والتأليف والصياغة والبناء والوشي والتحبير وما أشبه ذلك، مما يوجب اعتبار الأجزاء بعضها مع بعض، حتى يكون لوضع حيث وضع، علة تقتضي كونه هناك، وحتى لو وضع في مكان غيره لم يصلح؛[33] لذلك نرى أن النظم عنده ليس محصور في اللفظ والمعنى، بل يتسع النظم عنده إلى عدّة أركان ومراحل.

ويقول: وليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلاتزيغ عنها وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تُخل بشيء منها، وأن الألفاظ لاتتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مفردة، وأن الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها.[34]

فالنظم هو حسن ترتيب الكلمات في الجملة، بحيث تكون كل كلمة في محلها المناسب لها. وهو يقوم على معاني النحو والبلاغة.

([28]) عبد المنعم خفاجي، ومحمد العدي فرهود، وعبد العزيز شرف، الأسلوبية والبيان العربي، الدار المصرية اللبنانية، ص 56.

([29]) عبد القاهر الجرجاني،(2004)، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، شركة القدس للنشر والتوزيع، ص49.

([30]) المرجع نفسه، ص54.

([31]) سورة البقرة، الآية [14– 15]

([32]) دلائل الإعجاز، ص227.

([33]) المرجع نفسه، ص 49 .

([34]) المرجع نفسه، ص 44.

ويلخص الجرجاني نظرية النظم وحقيقتها بقوله: واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علما لايعترضه الشك، أن لانظم في كلم ولاترتيب، حتى يعلّق بعضها على بعض، وتجعل هذه بسببٍ من تلك، هذا ما لايجعله عاقل، ولايخفى على أحد من الناس.[35]

القرطاجنّي:

ظهرت نظرية النظم على يد الجاحظ، ونشأت بجهود علماء متعددي المجالات كأمثال الباقلاني، وابن رشيق، وأبي هلال العسكري، وابن سنان الخفاجي وغيرهم، وتطورت على يد جيل متميز من كبار العلماء كأمثال الخطابي، وعبد القاهر الجرجاني، ثم اكتملت هذه النظرية على يد عالم فلسفي ورث تراث فلاسفة المغرب الإسلامي، واستفاد من أعمال كبار فلاسفة المغرب أمثال الكِنْدي والفارابي وابن سينا وابن رشد، وإنه تلميذ لتلميذ ابن رشد، أبي علىالشلوبين.[36]ألا وهو أبو حازمالقرطاجنيفهو فلسفي الذهن، ومن ناحية أخرى كان عالما فقيها، تفقه على المذهب المالكي،[37] نرى أنه استفاد في تكميل (نظرية النظم) بكل العلوم اللغوية وفنونها صوتا، وصرفا، ونحوا، ودلالة، وبلاغة، حتى أدخل الفلسفة في حضنهافتتكوّن نظرية (النظم) عنده ببعض المبادئ الأساسية التي ذكرها بأوجه متعددة، ومن أهم هذه المبادئ أنه تحدّث عن الوسائل والعلاقات التي تؤسس التماسك النصي، حيث يشير إلى ما يسميه بتماسك الفصل، ويقصد بالفصل أربعة أبيات تتضافر لأجل إيصال معنى معين، وهو يبحث في قوانين يسميها (طرق العلم بإحكام مباني الفصول وتحسين هيئاتها ووصل بعضها ببعض) وتتميزهذه القوانين بحالتين: الأولى منهما تتعلق بالفصل وما ينبغي أن يُسلك فيه وقد خصه بثلاثة قوانين . والثانية تتعلق بماينبغي أن نتبع في ترتيب الفصول بعضها إلى بعض.

كما أن القرطاجني لم يكتف بالاهتمام بالعلاقات بين الفصل الواحد ولاعند العلاقة بين الفصول، وإنما تجاوز ذلك إلى بعض الشروط التي ينبغي أن تحترم في مطلع كل فصل وفي نهايته ويسميه بالتسويم والتحجيل. وقصد بالتسويم أن تتوافر في مبدأ الفصل وفي خاتمته أوصاف تلح على وجوب دلالة رأس الفصل على الفصل كله وتعضيد نهايته لمعناه، فوظيفة التسويم إذن الإنباء عن القصيدة وبمقصد المتكلم.

أما **التحجيل:** هو البيت الذي يختم به الفصل لايخلو من أن يكون مترامیا إلى ما ترامت إليه جملة معاني الفصل، أو يكون مترامیا إلى ما ترامى إليه بعضها، فوظيفة التحجيل تعزيز معنى أبيات الفصل بطريقة[38] عقلية،ومن هنا يمكن أن نصنف التماسك لدى حازم القرطاجنى إلى تماسك الفصل، وتماسك الفصول، والعلاقة بين الفصول كلها.[39]

وعلى هذا سلك القرطاجني في هذه الصنعة الدقيقة التي تجعل الناظر يُعدالقرطاجني من أهم نقاد العرب الذين قدموا وصفا مفصلا لكيفية تماسك النص الشعري، واستعمل مفهوما إجرائيا هو الفصل الذي يعتمد في تحديده على المعنى، وهذا لايقل عما يحاول علماء النص المحدثون أن يقدموه في هذا الشأن. هذه هي نظرية تماسك النص القرآني، مفهومها ومظاهرها واهتمام العلماء العرب بها ودورها في بناء النص الأدبي في اللغة العربية وعلاقتها بالنص القرآني المقدس وإعجازه، ودورها في فهم النصوص العربية عامة والنص القرآني خاصة.

الجاحظ:

([35]) المرجع نفسه، ص 55.

([36]) محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 149.

([37]) د. محمد محمد أبو موسى، (2006م)، تقريب منهاج البلغاء لحازم القرطاجني، ط1، مكتبة وهبة بالقاهرة، ص3.

([38]) محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص151.

([39]) د. أبو موسى، تقريب منهاج البلغاء، ص165.

هو من اللغويين العرب الذين عبروا عن مفهوم التماسك بعبارات منها (جودة السبك)، و(يفرغ إفراغا واحدا)، وذكروا بعض أسس التماسك النصي التي أقام عليها العلماء المحدثون أصول نظرية تماسك النص، وإن لم يؤسسوا نظرية عربية في هذا المجال، ومن أهم ما جاء به في البيان والتبيين،إنه نقل عن خلف قوله: (وأجودُ الشِّعر ما رأيتَه متلاحم الأجزاء، سهلَ المخارج، فتعلمُ بذلك أنه قد أفرغ إفراغًا واحدًا، وسُبِك سبكًا واحدًا، فهو يجري على اللسان كما يجري الدِّهان.)[40]

فالشعر الجيد الذي يجري على اللسان دون نبوٍّ، فهو عذب سلسال سلس الوقع متماسك الأجزاء لا انفصال بين أجزائه تماما مثل الدهن والدهان الذي يجري فلا ينفصل ولا يفترق بل متلاحم دائما.

وذكر أيضا ما يدل على اهتمام النقاد العرب بعملية السبك، فقال: (ورأيت عامّتَهم [41] – فقد طالت مشاهدتي لهم – لا يقفون إلاّ على الألفاظ المتخيَّرة، والمعاني المنتخَبة، وعلى الألفاظ العذْبة والمخارج السَّهلة، والدِّيباجة الكريمة، وعلى الطبع المتمكِّن وعلى السَّبك الجيِّد، وعلى كلِّ كلامٍ له ماءٌ ورونق، وعلى المعاني التي إذا صارت في الصدور عَمَرتها وأصلحتها من الفَساد القديم، وفتحت للِّسانِ بابَ البلاغة، ودلَّت الأقلام على مدافن الألفاظ، وأشارت إلى حِسان المعاني، ورأيت البصرَ بهذا الجوهرِ من الكلام في رُواة الكتّاب أعمَّ، وعلى ألسنة حُذَّاق الشُّعراء أظهر.)[42]

ولعلهم يعنون بالسبك عملية ترتيب الألفاظ في النص، وربط بعضها ببعض؛ حتى لا يستطيع أحد أن ينقل لفظا من موضع إلى آخر، وإن فعل فإن المعنى يختل، ويخرج النص من الجودة إلى الرداءة، ومن القوة والرصانة إلى الركاكة.

ويلح الجاحظ على قضية جودة السبك، ففي الحيوان يقول عن أبي نواس وعلاقته بالكلاب: (وأنا كتبتُ لك رَجَزَه في هذا الباب، لأنَّه كان عالمًا راويةً، وكان قد لعب بالكلاب زمانًا، وعرف منها ما لا تعرفه الأعراب، وذلك موجود في شعره، وصفات الكلاب مستقصات في أراجيزه، هذا مع جودة الطبع وجودة السبك، والحذق بالصنعة، وإن تأمَّلتَ شِعرَه فضَّلتَهُ، إلاَّ أن تعترض عليك فيه العصبيّة، أو ترى أنّ أهل البدو أبدًا أشعرُ، وأنَّ المولَّدين لا يقاربونهم في شيء، فإن اعترض هذا الباب عليك فإنك لا تبصر الحقَّ من الباطل، مادمتَ مغلوبًا.)[43]

وما يهمنا من هذا النص وصف الجاحظ شعر أبي نواس بأنه يتصف بجودة الطبع، فلا تكلف فيه، وجودة السبك، فهو مترابط الأجزاء غير مفككها، وهذا يدل على حذق أبي نواس صنعة الشعر.

إذا كان ما قام به خلف الأحمر وحماد، وغيرهم من الرواة من انتقاء النصوص الجيدة المتماسكة أو الجيدة السبك كما يذكر الجاحظ يُعَدُّ مقدمة ونقطة انطلاق لتكوين نظرية لنقد النصوص ودراستها، وبيان الجيد منها؛ فإن ما قام به الزركشي ومن بعده السيوطي يقترب من التطبيق العملي لبعض أسس تماسك النص.

الزركشي:

ما قام به الزركشي ومن بعده السيوطي يقترب من التطبيق العملي لبعض أسس تماسك النص، ففي البرهان: (وقال الشيخ أبو الحسن الشهراباني أول من أظهر ببغداد علم المناسبة ولم نكن سمعناه من غيره هو الشيخ الإمام أبو بكر النيسابوري وكان غزير العلم

([40]) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، (1998)، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، ط7، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ج1، ص67.

([41]) يقصد عامة رواة الأخبار. انظر: المرجع السابق نفسه، ج1، ص67.

([42]) المرجع نفسه، ج4، ص24.

([43]) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، (1965م)، الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، ط2، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ج2، ص27.

في الشريعة والأدب وكان يقول على الكرسي إذا قرئ عليه الآية لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة؟ وكان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة.)[44]

وكان بعض العلماء يتحرج من الحديث في عملية ارتباط آي القرآن وسوره عملاً بأن النص القرآني يختلف عن كل النصوص؛والدارس لهذا النص إما أن يجد الأمر ظاهرا فيزيده إظهارا ووضوحا،وإما أن يكون خفيا فيتركه؛حتى لا يكون الكلام ركيكا.وعلى رأس هؤلاء كان الشيخ عز الدين بن عبد السلام، يقول الزركشي: (وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام المناسبة علم حسن ولكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر.قال: ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا برباط ركيك يصان عنه حسن الحديث فضلا عن أحسنه فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة ولأسباب مختلفة وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض إذ لا يحسن أن يرتبط تصرف الإله في خلقه وأحكامه بعضها ببعض مع اختلاف العلل والأسباب كتصرف الملوك والحكام والمفتين وتصرف الإنسان نفسه بأمور متوافقة ومتخالفة ومتضادة وليس لأحد أن يطلب ربط بعض تلك التصرفات مع بعض مع اختلافها في نفسها واختلاف أوقاتها.)[45]

وإذا كان بعض العلماء قد تحرج من الحديث في المناسبة اعتماداً على أن القرآن نزل في عدد كبير من السنين، ونزل منجماً بحسب الوقائع والأحداث في بعض المواقف،ولم ينزل مرتبة سوره وآياته؛فإن بعضهم قد رفض هذا الموقف،ودعا إلى الحديث في المناسبة؛بل عاب على الفريق الأول رأيه،يقول الزركشي:(قال بعض مشايخنا المحققين: قد وهم من قال:لا يطلب للآي الكريمة مناسبة لأنها على حسب الوقائع المتفرقة، وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلا وعلى حسب الحكمة ترتيبا فالمصحف كالصحف الكريمة على وفق ما في الكتاب المكنون مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف... والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة.ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها؟ ففي ذلك علم جم وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له)[46].

قد كتب السيوطي في هذه القضية أيضا،(وقال:الشيخ ولي الدين الملوي:قد وهم من قال لا يطلب للآي الكريمة مناسبة لأنها على حسب الوقائع المفرقة وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلا وعلى حسب الحكمة ترتيبا وتأصيلا فالمصحف على وفق ما في اللوح المحفوظ مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف كما أنزل جملة إلى بيت العزة ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها ففي ذلك علم جم وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له.)[47]

ويقول أيضا:(المناسبة في اللغة المشاكلة والمقاربة ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها عام أو خاص عقلي أو حسي أو خيالي أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب

([44]) الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، (1957م)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي بمصر، ج1، ص36.

([45]) المرجع نفسه، ج1، ص37.

([46]) المرجع نفسه، ج1، ص37.

([47]) السيوطي، أبو بكر جلال الدين السيوطي، (1974م)، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط4، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج3، ص369.

والعلة والمعلول والنظيرين والضدين ونحوه وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء فنقول ذكر الآية بعد الأخرى إما أن يكون ظاهر الارتباط لتعلق الكلم بعضه ببعض وعدم تمامه بالأولى فواضح وكذلك إذا كانت الثانية للأولى على وجه التأكيد أو التفسير أو الاعتراض أو البدل وهذا القسم لا كلام فيه. وإما ألا يظهر الارتباط بل يظهر أن كل جملة مستقلة عن الأخرى وأنها خلاف النوع المبدوء به، فإما أن تكون معطوفة على الأولى بحرف من حروف العطف المشتركة في الحكم أو لا، فإن كانت معطوفة فلا بد أن يكون بينهما جهة جامعة على ما سبق تقسيمه كقوله تعالى:﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾[48] وقوله:﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[49] للتضاد بين القبض والبسط والولوج والخروج والنزول والعروج وشبه التضاد بين السماء والأرض ومما الكلام فيه التضاد ذكر الرحمة بعد ذكر العذاب والرغبة بعد الرهبة وقد جرت عادة القرآن إذا ذكر أحكاما ذكر بعدها وعدا ووعيدا ليكون باعثا على العمل بما سبق ثم يذكر آيات توحيد وتنزيه ليعلم عظم الآمر والناهي وتأمل سورة البقرة والنساء والمائدة تجده كذلك.)[50]

لعل السيوطي قد نقل معظم ما قاله في هذه المسألة من الزركشي، فيكاد يكون النص عنده هو النص عند الزركشي،وبينهما فوق مائة سنة. ومع ذلك فحسب السيوطي أنه ذكر فائدة هذا التماسك،أو فائدة المناسبة– مناسبة الآية لما قبلها وما بعدها،وكذا السورة، ولننظر جيدا إلى قوله:(وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء)[51].

وهذا الذي ذكره السيوطي هو ما يدور حوله عامة علماء النص في العصر الحديث، أن يصبح النص متماسكا آخذا بعضه بأعناق بعض مترابطة أجزاؤه، كأنه بناء متكامل. وأما التماسك النصي في الدرس العربي الحديث فقد حُظِيَ باهتمام كبير من طرف علماء لسانيات النص، ومنهم:

محمّد خطّابي:

يعرض محمّد خطابي مظاهر النص؛ وطبيعة انسجامه، كما جاءت في اللسانيات الوصفية، ولسانيات الخطاب، ونظرية تحليل الخطاب، ومنجزات العلم في مجال الذكاء الاصطناعي، وكما تجلّت في أعمال(فان ديك) التي ينسجم الخطاب فيها كالآتي: الخطاب ويتفرع إلى وظيفتين؛ دلالية وتداولية، وتحوي الوظيفة الدلالية العناصر الآتية: الترابط، والانسجام، والبنيات الكلية. أمّا الوظيفة التداولية فتضم: السياقات، والأفعال الكلامية، وقد عزّز خطابي دراسته بأعمال الرواد في مجال علم اللغة النصي أمثال (هاليدي ورقية حسن) في مؤلفهما: الاتساق في اللغة الإنجليزية(Cohésion in english)، ومثلما استفاد البحث من اللسانيات الغربية في مجال تحليل الخطاب، استفاد كذلك من تراث الدراسات العربية؛ كالبلاغة، والنحو، والنقد الأدبي القديم، وعلم التفسير، وعلوم القرآن؛ التي أثبت من خلال بعضها أن ما قدمته من آليات نصية يرقى إلى ما قدّمته اللسانيات النصية المعاصرة، ومن خلال تلك المزاوجة حاول خطابي تأسيس لسانيات نصّية عربية تحاور النص العربي بالاستفادة من كل تلك المعطيات.

([48]) سورة سبأ، الآية 2.

([49]) سورة البقرة، ص245.

([50]) الإتقان في علوم القرآن، ج3، ص371.

([51]) المرجع نفسه، ج3، ص372.

لقد كان هدف الأستاذ محمد خطّابي البحث في كيفية انسجام الخطاب الشعري؛ وقد اقتضى منه ذلك التنقيب عن قواعد نصية لا تلغي التراث برمّته، ولا تستنسخ كل معطيات الحضارة الغربية اللسانية والنقدية استنساخا سمجا، واستطاع من خلال هذه الرؤية استنتاج قواعد نصية عامّة تنسجم والنص العربي، وختم آراءه النظرية، بالبحث التطبيقي عن كيفية انسجام النص في قصيدة(فارس الكلمات العربية)لأدونيس.[52]

صبحي إبراهيم الفقي:

ينحو الفقي في كتابه(علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق)نحو المدرسة النصيّة وهي أحدث مدرسة تَعَدّتْ في تحليلها اللغوي النُّظُمَ التي اتّبعتها المدارس الأخرى التي اهتمتبالجملة بوصفها الوحدة اللغوية الكبرى...لقد اتّخذت المدرسةالنصية(النَّصَّ)مجالاً للتحليل كإطار أوسع من الجملة التي يُعَدُّ الوقوف عندها قصورا في التحليل النصي؛ إذ لا يمكن دراستها منفصلة عن سياقها اللغوي المتمثل في البنية اللغوية الكبرى(النص).

يتبنى الفقي تعريف (روبرت دي بيوجراند)؛ الذي يرى أن النص؛ حدث تواصلي يلزم لكونه نصا أن تتوافر له سبعة معايير إذا تخلف واحد منها تنتزع منه صفة النصية، وهذه المعايير هي:

1/ السبك أو الربط النحوي(cohesion).

2/ الحبك (coherence) أو التماسك الدلالي، وترجمها تمام حسان؛ بالالتحام.

3/ القصـــد (Intentionality)؛ وهو الهدف من إنشاء النص.

4/ القبول والمقبولية (Acceptability) وتتعلق بموقف المتلقي من النص من حيث قبوله أو رفضه.

5/ الإخبارية أو الإعلام (Informativity) وتتعلق بأفق انتظار المتلقي وتوقعه للمعلومات الواردة في النص.

6/ المقامـــية(Situationality) وتتعلق بمناسبة النص للموقف والظروف المحيطة بـــه.

7/ التناص (Intertextuality)[53]

وفي تصورنا أن التعريف الذي يتبناه الفقي تعريف شامل لا يلغي أحد أطراف الحدث الـــكلامي في التحليل؛ فهو يجمع المرسل والمتلقي والسياق وأدوات الربط اللغوية...ومن هنا فإنّ المدخل السلـــيم للتحليل النصي هو التحليل ذو الرؤية الشاملة حيث كل العناصر النصية–المرسل، المتلقي، السياق، عناصر الربط اللغوي...– تحت مجهر التحليل النصي، ولا يضخم نظرته لعنصر على حساب آخر؛ كما تضخم البنيوية بنية النص على التاريخ والقارئ فيها مجرد متلق سلبي لا حول له ولا قوة أمام رياضيات النص، وكما تضخم التفكيكية القارئ على النص والتاريخ واللغة نفسها...

وقسّم الفقي كتابه إلى أربعة فصول يبدو بصورة واضحة أنّها تدور حول التماسك النصي، الذي يعتبر أهم مظاهر التحليل النصي. في الفصل الأول عرّف النص، وعلم اللغة النصي وأهم المصطلحات المتعلقة به، وأفرد الفصل الثاني للتماسك بَيَّن مفهومه وأهميته، وعلاقة السياق والمتلقي بالتماسك؛ وأثرهما في تكييف التماسك، ثمّ قدّم نظرة القدماء للتماسك، وفي الفصل الثالث تناول دور الضمائر–الشخصية، الإشارية، الموصولية– في التماسك وأهمّيتها عند علماء العرب وعلماء النصية المحدثين، وأتْبع كل ذلك بفصل حاول فيه تطبيق المبادئ النظرية على سور مكية أبرز من خلالها أهمية الضمير في إحداث التماسك النصي، وأما الفصل الرابع فخصّه للتوابع وأهمّيتها عند علماء

(52) محمد خطابي لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 9–384.

(53) صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ص33–34.

العربية وعلماء النصية، وختم هذا الفصل أيضا بالتطبيق على سور مكية بيّن فيها أهمية الضمير في الربط بين أجزاء النص.

وتكمن أهمية دراسته هذه أنْ جعلت المتلقي شريكا أساسيا لا ينبغي تجاهل دوره في تلقي وإدراك النص،كما أنّ الدراسة لم تكن آراء نظرية بعيدة عن روح النص العربي؛ بل أتبعت النظرية بالتطبيق على أفصح وأقدس نص تفتخر به العربية.[54]

الخاتمة:

وبعد هذا العرض الموجز من مفاهيم نصية لسانية وبعض الممارسات النصية في الدراسات العربية لا بد من استعراض أهم **النتائج** التي تم التوصل إليها والتي يمكن إيجازها في الآتي:

1- إن أصول التماسك النصي لم تكن حديثةً، لكن الحديث هو محاولة توظيفها بشكل عملي؛ فقد كان لعلماء العربية القدامى حس لغوي صحيح، ورؤية مبكرة في البحث اللغوي والنقدي للنص.

2- لقد كان للعرب إسهامات مباشرة وغير مباشرة في الدراسة النصية، وأكدت الدراسة أن في التراث اللغوي من نقدٍ وبلاغةٍ وعلم تفسيرٍ وغيره يوحي بوجود علاقة بينها وبين لسانيات النص.

3- الغربيون جعلوا نظرية التماسك اتجاها لسانيا نصيا مستقلا بذاته في دراسة النصوص، بينما علماء العربية القدامى لم يكن لديهم هذا الاستقلال الذاتي بل كان ضمن علوم ومصطلحات أخرى.

ومن **التوصيات** التي توصي بها الدراسة ما يلي:

1- كان للغويين والمفسرين والبلاغيين والنقاد القدامى ممارسات نصية زاخرة، وما زالت هذه الممارسات النصية تحتاج إلى تسليط الضوء عليها لما فيها من جهود غنية.

2- وكما توصي الدراسة بوضع قواعد لتحليل النصوص تتناسب مع طبيعة النص العربي.

3-ويمكن استلهام بعض القوانين النصية من مصادرنا التراثية مثل علم أصول الفقه، والبلاغة، والتفسير...كما يمكن أيضا الاستفادة من معطيات علم النص الغربي بما لا يلغي خصوصية النص العربي.

المصادر والمراجع

* **القرآن الكريم.**

1. ابن منظور محمد بن مكرم الأفريقي المصري، لسان العرب، ط1، دار صادر- بيروت.
2. بشرى حمدي البستاني ودوسنعبد الغني المختار، (2011)، في مفهوم النص ومعايير نصية القرآن الكريم، دراسة نظرية، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، مج 11 ، ع 1، جويلية.
3. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، (1965)، الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، ط2، ج2، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي، القاهرة.
4. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، (1998)، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، ط7، مكتبة الخانجي، القاهرة.
5. د. عبد المنعم خفاجي، ومحمد العدي فرهود، وعبد العزيز شرف،الأسلوبية والبيان العربي ، الدار المصرية اللبنانية.
6. د. محمد محمد أبو موسى، (2006م)، تقريب منهاج البلغاء لحازم القرطاجني، ط1، مكتبة وهبة، القاهرة.
7. د. مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية ، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان.
8. دكتور أحمد محمد عبد الراضي، (2008م)، نحو النص بين الأصالة والحداثة، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية.
9. دومينيك مانغونو،(2001م)، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون.

(54) المرجع نفسه، ص 16.

10. ديكروأوزوالد وجان ماري سشايفر، (2007م)، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، تر: منذر عياشي، ط3، المركز الثقافي العربي، المغرب.
11. روبرت دي بوجراند، (1998م)، النص والخطاب والإجراء،: تر: تمام حسان، ط1، عالم الكتب، القاهرة.
12. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر(1957م)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، ج1، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي بمصر.
13. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد، (1998م)، أساس البلاغة، تحقيق: باسل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.
14. سعد مصلوح،(1991م)، نحو أجرومية للنص الشعري ، دراسة في قصيدة جاهلية ، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مج 10، االعدد(1،2) ، جويلية.
15. سعيد حسن بحيري، (2004م) علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، ط1، مؤسسة المختار، مصر.
16. السيوطي، أبو بكر جلال الدين السيوطي، (1974م)، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط4، ج3، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
17. صبحي إبراهيم الفقي، (2000م)، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، ط1، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
18. صلاح فضل، (2002م) مناهج النقد المعاصر، إفريقيا الشرق، لبنان.
19. عبد القاهر الجرجاني،(2004)، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، شركة القدس للنشر والتوزيع.
20. مجمع اللغة العربية، (2004م)، المعجم الوسيط ، ط4، مكتبة الشروق الدولية.
21. مجمع اللغة العربية، (2009م) ، المعجم الوجيز، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم المصرية.
22. محمد الأخضر الصبيحي، (2008م)، مدخل إلى علم النص ومجال تطبيقه، الدار العربية للعلوم ناشرون ، ط1، بيروت، لبنان.
23. محمد خطابي، (1991م)، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء.
24. مرتضى الزبيدي، أبو الفيض محمد بن محمد، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية.
25. نعمان بوقرة، (2009م)، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، دراسة معجمية، ط1، عالم الكتب الحديث وجدارا للكتاب العالمي، إربد، الأردن.